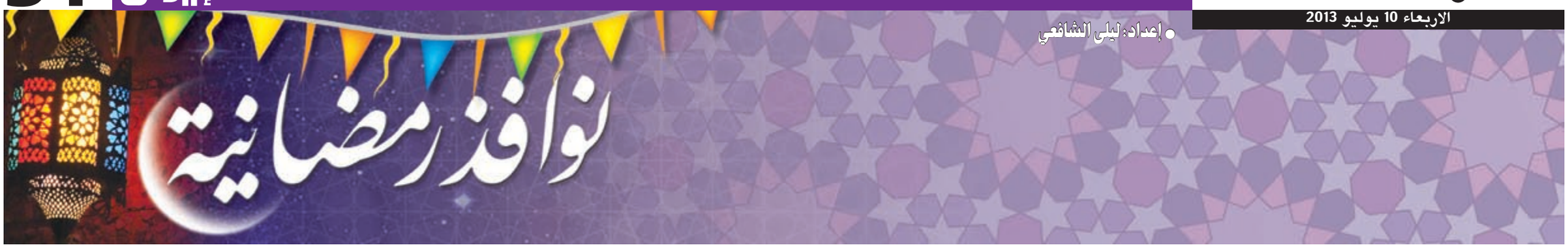

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

لما دخل النبي ﷺ مكة قال عكرمة: والله لا أسكن أرضا أرى فيها قاتل أبي الحكم فانطلق يركب البحر وعمد ختنه أبو امرأته فأمر زوجته فتعصبت.

ثم تلقته فقالت: أين تذهب يا سيد فتيان قريش؟ تذهب الى أرض لا تعرف بها فأبى ان يطيعها.

وعن عبدالله بن الزبير قال: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة، في عشر نسوة من قريش.

فأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه، فدخلن عليه وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبدالمطلب، فتكلمت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول الله، اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة ثم كشفت عن نقابها، فقالت: هند بنت عتبة، فقال رسول الله ﷺ: «مرحبا بك».

فقالت: والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهل خباء أحب الي ان يذلوا من خبائك ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خباء أحب الي أن يعزوا من خبائك فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة أيضا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهن القرآن وبايعهن.

ثم قالت أم حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك الى اليمن، وخاف ان تقتله فأمنه، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن»، فخرجت أم حكيم في طلبه فأدركته وقد انتهى الى ساحل من سواحل تهامة فجعل نوتي السفينة يقول له: أخلص! قال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله الا الله، قال عكرمة: ما هربت الا من هذا! فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر، فجعلت تقول: يا ابن عم! جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك! وقالت: اني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك، فرجع معها.

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه، وتقول: انك كافر وأنا مسلمة، فيقول: ان أمرا منعك مني لأمر كبير فلما رأى النبي ﷺ عكرمة وثب اليه، وما على النبي ﷺ رداء فرحا بعكرمة، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأته منتقبة، ثم قال عكرمة: فإني أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، فسر بذلك رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله علمني خير شيء أقوله، فقال: «تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»، فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: «تقول أشهد الله وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر» فقال عكرمة ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئا أعطيه أحدا إلا أعطيتكه»، فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير أوضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو أنت غائب عنه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها وكل مسير سار فيه إلي موضعا يريد بذلك المسير إطفاء نورك واغفر له كل ما نال مني من عرض في وجهي أو وأنا غائب عنه»، فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله! أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتال كنت أقاتل في صد سبيل الله الا أبليت ضعفه في سبيل الله ثم أجتهد في القتال حتى أقتل قال: فمازال يقاتل في سبيل الله حتى قتل رحمه الله.

وروي أنه لما كان يوم اليرموك ترجل عكرمة فقال له خالد: لا تفعل، فإن مصابك على المسلمين شديد، فقال: دعني يا خالد! فإنه كانت لك سابقة مع رسول الله ﷺ، ثم قاتل قتالا شديدا حتى قتل، فوجد به بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية.

وقال عبدالله بن مصعب: استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام، وعكرمة ابن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه، كلما دفع الى رجل منهم قال: اسق فلانا، حتى ماتوا ولم يشربوه، قال: طلب الماء عكرمة، فنظر الى سهيل ينظر اليه، فقال: ادفعه اليه، فنظر الى الحارث ينظر اليه فقال: ادفعه اليه فلم يصل اليه حتى ماتوا رحمة الله عليهم.

من التراث

هكذا تعلمنا الحلم

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم..

قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره اتت جارية له بسفود ـ الحديدة التي يشوى بها اللحم ـ عليه شواء فسقط من يدها، فوقع على ابن له صغير فمات.. فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك.. أنت حرة لوجه الله تعالى!

وشتم رجل الأحنف بن قيس، وهو لا يجيبه وكان يتبعه، فلما قرب من الحي، وقف وقال: ان كان قد بقي في نفسك شيء فقله، حتى لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذونك!

الرجال مواقف

عبدالله بن حذافة.. إن الموت لأحبّ إليّ

هو عبدالله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي الكناني أبوحذافة، صحابي أسلم قديما، بعثه النبي ﷺ إلى كسرى، هاجر إلى الحبشة وقيل: شهد بدرا، أسره الروم أيام عمر ثم أطلقوه، شهد فتح مصر وتوفي بها أيام عثمان رضي الله عنه سنة 33 هـ وكانت فيه دعابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به»، فقال عبدالله بن حذافة: من أبي يا رسول الله؟ قال: «أبوك حذافة بن قيس»، فرجع إلى أمه فقالت: ويحك ما حملك على الذي صنعت، فقد كنا أهل جاهلية وأهل أعمال قبيحة، فقال لها: إن كنت لأحب أن أعلم من أبي، من كان من الناس. (مسند الإمام أحمد).

قال الإمام الزهري: وأخبرني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة: قالت أم عبدالله بن حذافة: ما رأيت ابنا قط أعق منك، أكنت تأمن أن تكون أمك قارفت في الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس؟ قال عبدالله: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته. (مسند أبي يعلى الموصلي).

صحابي يحب الفكاهة والدعابة

عن الليث بن سعد قال: بلغني أنه حل حزام راحلة النبي ﷺ في بعض أسفاره حتى كاد رسول الله ﷺ يقع، قال ابن وهب: فقلت لليث: ليضحكه؟ قال: نعم، كانت فيه دعابة. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب).

ومن مداعباته وفكاهاته: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث وأنا فيهم، فلما انتهى إلى رأس غزاته أو كان ببعض الطريق استأذنته طائفة من الجيش فأذن لهم وأمر عليهم عبدالله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه فلما كان ببعض الطريق أوقد القوم نارا ليصطلوا أو ليصنعوا عليها صنيعا.

فقال عبدالله (وكانت فيه دعابة): أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا بلى، قال: فما أنا بآمركم بشيء إلا صنعتموه؟ قالوا نعم، قال: فإني أعزم عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا، فلما ظن أنهم واثبون قال أمسكوا على أنفسكم، فإنما كنت أمزح معكم.

فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه». (ابن ماجه).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: في تفسير قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

قال نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي في سرية. (البخاري)

من مناقب عبدالله بن حذافة

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا إلى الروم وفيهم رجلا يقال له عبدالله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: ان هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تنتصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبدالله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت.

قال: إذن أقتلك، قال: أنت وذاك.

قال: فأمر به فصلب، وقال: للرماة: ارموه قريبا من يديه قريبا من رجليه وهو يعرض عليه ـ أن يتنصر ـ وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل ثم دعا بقدر وصب فيها ماء حتى احترقت ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ثم أمر به أن يلقى فيها فلما ذهب به بكى فقيل له: إنه بكى فظن أنه رجع فقال: ردوه فعرض عليه النصرانية فأبى.

قال: فما أبكاك إذن؟ قال: لا ترى أني بكيت جزعا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعر في ثم تسلط عليّ فتفعل بي هذا.

قال: فأعجب منه: وأحب أن يطلقه فقال: هل لك أن تقبّل رأسي وأخلي عنك؟ قال عبدالله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال عبدالله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبّل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي، فدنا منه وقبّل رأسه فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر فأخبر عمر خبره فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر فقبل رأسه.

رسائل الرسول

إلى النجاشي ملك الحبشة (1ـ2)

حامل الرسالة:

عمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن اياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جُدَي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الضمري، يكنى أبا أمية.

وهو صاحب ماض عريق في الاسلام، بعثه رسول الله ﷺ وحده عينا إلى قريش، فحمل خبيب بن عدي رضي الله عنه من الخشبة التي صُلب عليها، أسلم عمرو بن أمية قديما وهو من مهاجري الحبشة، ثم هاجر الى المدينة، وأول مشاهده «بئر معونة»، وكان رسول الله ﷺ يبعثه في اموره، وكان رضي الله عنه من انجاد العرب ورجالها نجدة وجراءة.

اسر في «بئر معونة»، فقال له عامر بن الطفيل: إنه كان على امي نَسمَة، فاذهب فأنت حُر عنها، وجز ناصيته.

توفي عمرو بن امية رضي الله عنه آخر ايام معاوية رضي الله عنه، لما اتى عمرو بن امية رضي الله عنه النجاشي وجد في قصره بابا صغيراً يدخل منه الاحباش كأنهم سُجداً أمام النجاشي، فلما رأى عمرو ذلك ولى ظهره القهقري ودخل منه، فشق على الاحباش في مجلسهم عند النجاشي حتى هموا به، وقالوا للنجاشي، ان هذا لم يدخل كما دخلنا!

فقال: ما منعك ان تدخل كما دخلوا؟!

قال: انا لا نصنع هذا بنبينا، ولو صنعناه بأحد صنعناه به.

قال النجاشي: صدق دعوه.

فقالوا للنجاشي: هذا يزعم ان عيسى مملوك!

قال النجاشي: فما تقول في عيسى؟

قال عمرو: كلمة الله وروحه.

قال النجاشي: ما استطاع عيسى ان يعدو ذلك.

ثم قال عمرو بن امية: يا أصحمة، علي القول وعليك الاستماع، انك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه، ولم نخفك على شيء قط الا امناه، وقد اخذنا الحجة عليك من فيك، الا نجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك الموقع الخير واصابة الفضل، والا فأنت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله الى الناس فوجه رجلا الى كسرى ورجلا الى قيصر ورجلا الى المقوقس فرجاك كما لم يرجهم له، وامنك على ما خافهم عليه لخير سالف واجر ينتظر.

فقال النجاشي: اشهد بالله انه النبي الامين الذي ينتظره اهل الكتاب، وان بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وان العيان ليس بأشفى من الخبر.

● الشيخ سيد الرفاعي ●

طرائف رمضانية

بين الحجاج وأعرابي صائم

خرج الحجاج ذات يوم قائظ، فأحضر له الغذاء، فقال: اطلبوا من يتغذى معنا، فطلبوا، فلم يجدوا الا أعرابيا، فأتوا به، فدار بين الحجاج والأعرابي هذا الحوار:

الحجاج: هلم أيها الأعرابي لنتناول طعام الغذاء.

الأعرابي: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته.

الحجاج: من هو؟

الأعرابي: الله تبارك وتعالى، دعاني الى الصيام فأنا صائم.

الحجاج: تصوم في مثل هذا اليوم على حرّه؟

الأعرابي: صمت ليوم أشد منه حرا.

الحجاج: أفطر اليوم وصم غدا.

الأعرابي: أويضمن الأمير أن أعيش الى الغد؟

الحجاج: ليس ذلك إليّ، فعلم ذلك عند الله.

الأعرابي: فكيف تسألني عاجلا بآجل ليس اليه من سبيل؟

الحجاج: انه طعام طيب.

الأعرابي: والله ما طيّبه خبّازك وطباخك، ولكن طيبته العافية.

الحجاج: بالله ما رأيت مثل هذا.. جزاك الله خيرا أيها الأعرابي. وأمر له بجائزة.

روائع القصص

سليمان على عرش أبيه

داود يهيئ ابنه سليمان، ليكون خليفة من بعده مع ما هو عليه من حداثة السن وغضاضة الإهاب، واصطفاه الله لهداية العالمين وهذا ابن آخر لداود: هو أبشالوم قوي عتيد، قد استوى سوقه ومع ذلك فهو مقصي عن المُلك.

استمر ابشالوم يتقرب الى قومه بني اسرائيل ويقضي بينهم ويصلح امورهم، انتظارا لأمر يدبره، فكان يقف بباب ابيه الملك يصد عنه كل صاحب حاجة، ليقضيها له بنفسه، وبعد ان اعد ابشالوم عدته واطمأن الى انه قد استرق قلوب بني اسرائيل بعد ذلك استأذن اباه داود في ان يخرج الى «جدون» ثم ارسل جواسيسه في اسباط بني اسرائيل قائلا: اذا سمعتم بوقا ينذر بجمعكم فانفروا الي واعلنوا المُلك لي. ثار الشعب واشتدت الفتنة، وعلم داود بالخبر فقال لمن حوله: هيا نهرب لانه ليس لنا نجاة من بطش أبشالوم ثم تقرب داود الى الله في ضراعة ان ينجيه مما حاق به، دخل ابشالوم بعد مخرج ابيه الى اورشليم وامتلك نواصي الامور، ثم ارسل داود قواده واوصاهم بان يعالجوا الأمر بالروية والحكمة، وان يحقنوا دم ابنه ابشالوم ما استطاعوا الى ذلك من سبيل، فقد دخل الفُوّاد الى ابشالوم ولم يروا إلا قتله، فسكنت الفتنة واستراح الناس، ورجع المُلك الى داود ومن بعده لابنه سليمان، قر سليمان في ملكه ووهبه ربه ملكا عريضا، وسخر له الريح تجري بأمره، وتسير بمشيئته ورأيه، وعلمه منطق الطير، فكان يتفاهم باصواتهم وينتفع بمواهبها، ويطمئن الى اخبارها، وأسال الله له عينا مصطهرة تقذف النحاس من باطن الأرض فيقبل عليه صناعه من الجن للانتفاع به في شتى اعمال الاصلاح والتعمير، ورث سليمان داود في نبوته وملكه وعلمه منطق الطير وسخر له الشياطين، واطلق بامره الريح فكان يعرف تخاطب الطير بلغاتها، ويعبر للناس عن مقاصدها وارادتها.

ذنوب كبيرة

أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)، وقال تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال في حديث المعراج: «فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيشون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا»، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: ألم تر ان الله تعالى يقول: (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا).

وقال السدي رحمه الله تعالى: يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه انه آكل مال اليتيم. قال العلماء: فكل ولي ليتيم اذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف). وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال: «انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره انا وهو كهاتين في الجنة»، وأشار بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله اذا كان له مال، وان كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى، وقوله في الحديث: «له أو لغيره» أي سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه، فالقرابة مثل ان يكفله جده أو اخوه أو أمه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.